النظرة التوحيدية في كتابات الفاروقي وقطب: دراسة مقارنة بين كتاب التوحيد؛ مضامينه على الفكر والحياة، وبين كتاب مقومات التصور الإسلامي وخصائصه

إعداد:

سيكو توري[1]

[1] عميد البحث العلمي، وأستاذ مساعد في قسم أصول الدين والدعوة، بكلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية.
Sekou.toure@mediu.edy.my

ملخص البحث[2]

تناول العلماءُ الإسلامَ بالبيان من حيثيات شتي، فعرف أحدهم بالإسلام وقضاياه مرتكزا على القرآن والسنة ومسائلهما، ودرس بعضهم الإسلام منطلقا من الفقه وأصوله، و حظيت اللغة العربية ومكانتها في الإسلام اهتمام الآخرين، كما تناول فئة أخرى الإسلام بالبيان عبر التعمق في العقيدة والدعوة وما يتصل بهما من أفكار وأيديولوجيات. ثم أصبحت هذه الجوانب من بعدُ لب التخصصات الإسلامية. يضاف إلى هذا أن إسماعيل راجي الفاروقي (1921 - 1986) من كبار من حمل شعلة بيان الإسلام في العصر الراهن، وخصوصا في العالم الغربي، الذي يهتم بالإسلام في تخصص دراسات الأديان أو علم دراسة الأديان، أو علم مقارنة الأديان؛ وقد اشتهر بأنه حامل راية إسلامية المعرفة.[3] ومن جهة أخرى يجد المتتبع أن سيد قطب (1906 - 1966) من أكبر من حمل مسؤولية بيان الإسلام في العصر الحاضر، وبالأخص في العالم الإسلامي والعربي. واشتهر ككوكبة ونجم من أقمار الحركة الإسلامية. تسعى هذه الورقة إلى دراسة الرؤية التوحيدية عند كل من الفاروقي وسيد قطب، والمقارنة بين قضايا العقيدة عندهما؛ وذلك بدراسة كتاب *Tawhid: its implication for though and life* (**التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**) للفاروقي. وكتاب **مقومات التصور الإسلامي** لسيد قطب. ولقد جاءت الدراسة في خمسة مباحث؛ الأول عن اختيار الاسم الأمثل لهذا الموضوع، والثاني عن سبب تأليف الكتابين، والمبحث الثالث عن أهم قضايا العقيدة عندهما، والمبحث الرابع الوجود والتوحيد، والمبحث

---

[2] ألقيت هذه الورقة في الأصل باللغة الإنكليزية في المؤتمر العالمي الثاني عن البحث العلمي المعاصر حول الإسلام :تراث إسماعيل راجي الفاروقي،ا لمنظم من قبل قسم أصول الدين ومقارنة الأديان، كلية معارف الوحي والتراث والعلوم الإنسانية في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا؛ أكتوبر 2013. ثم عدلت ولقحت لتخرج بهذا الشكل. والشكر موصول لكل من قدم ملاحظة لتحسين البحث.

[3] بجانب كل من العطاس، وعبد الحميد أبو سليمان، ومحمد كمال حسن. انظر مقالة للباحث عن **إسلامية المعرفة: خلفية تاريخية وإشكالات مطروحة**؛ على موقع إسلام أونلاين، الرابط الآتي:

http://islamonline.net/studies/3697 / 02-04-2014

وانظر: طه جابر العلواني، **إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم**، (هيرندون: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996)؛ طه جابر العلواني، **ابن تيمية وإسلامية المعرفة**، (الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1994).

See: Syed Muhammad Naquib al-Attas, *Prolegomena to the Metaphysics of Islam* (Kuala Lumpur: International Institute Of Islamic Thought And Civilization, 1995); Syed Muhammad Naquib al-Attas, *Islam and Secularism* (Kuala Lumpur: Kuala Lumpur: International Institute of Islamic Thought and Civilization (ISTAC), 1993); Ismai'il Raji al-Faruqi, *Islamization of knowledge* (Herndon: International Institute Of Islamic Thought, 1987); See: Muhammad Kamal Hassan, *The integration of human sciences and revealed knowledge in the KIRKHS* (Kuala Lumpur: IIUM press, 1982). Pp. 111 – 124;

الخامس الحاكمية كنتاج جوهرة الخبرة الدينية وخصائص الألوهية. ومن أهم نتائج البحث أن العقيدة الإسلامية عقيدة واحدة، لا تتعدد ولا تتغير، وليست متأثرة بالبعد الزماني ولا المكاني. وهي التي تحدد نظرة الإنسان إلى الكون وتدفعه إلى العمل وإلى السلوك القويم. ويكمن دور العالم في حسن تنزيل العقيدة على الواقع المعاش. ومن هنا اهتم به كل من سيد قطب مركزا على الحركة الإسلامية وإيجاد مجتمع إسلامي، وأن ليس ثمة حاكمية إلا لله، وعلى غراره عني الفاروقي بالمسألة وربط العقيدة أو نظرية سيد قطب على الواقع، وربطها بأبعاد الحياة في كتابه؛ وكلاهما سعيا إلى إخراج الأمة من أزمتها الراهنة. يضاف إلى هذا أن التعلم كان سبيل الفاروقي، ومواجهة المجتمع والواقع كان سبيل سيد قطب؛ فغلب الحركية على الأخير والأسلمة على الآخر.

الكلمات المفتاحية: التوحيد، (النظرة التوحيدية)، العقيدة، أصول الدين، قضايا العقيدة المعاصرة، الدين والتدين، مناهج العلماء المعاصرين في دراسة العقيدة، جهود علماء المسلمين المعاصرين في دراسة العقيدة، إسماعيل راجي الفاروقي، سيد قطب.

مقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، اللهم رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا من لدنك علما، أما بعد؛ فيجد المتتبع أن علماء الإسلام قديما وحديثا يذهبون إلى أن الإسلام يقوم على العقائد الصحيحة، والآداب الكريمة والمثل العلما، وبعبارة أخرى؛ الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاق. ولعل هذا ما يبينه علماء مقارنة الأديان بالعناصر الدينية أو مكونات الدين، وكلها مفيدة في الوقوف على حقيقة الدين، ولا يشترط التماثل في الأديان في شيء من ذلك، بل يدعون إلى أن الدراسة الموضوعية هي التي تقوم على دراسة الآخر وفهمه كما هو عليه من مجموع كل هذه العناصر؛ لا كما يرى أو يريد باحث ما، بل الدراسة لا بد أن تتم بطريقة يفتخر المنتسبون إلى ذاك الدين بأن هذا دينهم فعلا!

هذا ولا يخفي أن العقيدة هي العنصر الأول والأهم في قيام الدين. فهي التي تحدد الإنسان والكون والحياة! أي هي الجزء الإيماني التي تبين للإنسان من أنا ولماذا وإلى أين؟

ولعل من الجدير بالذكر أن العقيدة هي ما يحدد دين الإنسان ويميزه عن غيره من الأديان، وهي أول ما يفصل بين الأديان، فوجود الله مثلا معترف به في كل الأديان.[4] والتوحيد هو المشترك بين ما يعبر عنه بالأديان السماوية؛ حيث يرى أديان الهند أو الأديان الوضعية.[5] أن الله قد يحل في مخلوقاته فلا داعي للنبوة كما يذهب بعض الأديان الوضعية، وأنه قد يتعدد من إله خير وإله شر، أو قد يتخذ له تماثيل للدلالة عنه..الخ. ثم التوحيد الخالص هو الفيصل بين الإسلام واليهودية التي خصصت الإله

---

[4] إلا البوذية التي لم تشأ الحديث عنها نوعا ما.

[5] التي لم تُعرف أن مؤسسيها ادعوا النبوة؛ مثل البرهمية أو الهندوسية، والسيخية، والطاوية، والكونفوشية والجينية والشينتو. انظر على إسلام أونلاين **علم مقارنة الأديان: فضاء معرفي لفهم الآخر** للباحث؛ على هذا الرابط:
http://islamonline.net/studies/3174 04-03-2014

بالعرق اليهودي، أو النصارى الذين فسروا التوحيد بالتثليث. الشاهد هو أن الإيمان هو الذي يحدد دينا معينا، ويغاير غيره به.

إذن العقيدة هي الجزء الإيماني الذي يحدد تصور الإنسان عن نفسه وعن الكون ويبني مسؤولية العقاب والثواب على ذلك، وتفسر العقيدةُ الحياةَ بناء على ذلك. ووظيفة العقيدة بجانب هذا تكمن في أنه المحدد للدين، والفارق بينه وغيره. يضاف إلى هذا أن بعد العقيدة قد يختلف العلماء في تفسير هذه الأصول، ويترتب على ذلك الفرق الدينية.

ومن أهم من اهتم بموضوع العقيدة في العصر الراهن وسعى إلى حسن تنزيل القضايا العقدية على الواقع إسماعيل راجي الفاروقي وسيد قطب. وهذه الورقة تسعي إلى دراسة أهم جزئيات العقيدة في كتابيهما المكرسين لذلك. فما الاسم الذي اختاراه لدراسة العقيدة، وما أهم قضايا العقيدة عندهما، وما مكانة التوحيد في فكر كل منهما؟

المبحث الأول: الاهتمام بموضوع العقيدة؛ أسماؤها المختلفة: اختيارات قطب[6] والفاروقي.[7]

اهتم علماء المسلمين في بيانهم لهذا الجانب أيما اهتمام؛ وأطلقوا على العنوان العريض الذي يتناول هذه القضية عدة أسماء انطلاقا من خلفية من أطلق المصطلح أو انطلاقا من اهتمام بجانب معين، أو تغليب جانب دون آخر. فبين بعضهم القضية باسم الفقه الأكبر؛[8] من باب أنه يجب على المسلمين التفقه بدينهم، وأول ما يجب عليهم هو معرفة الفقه الأكبر، وهو قضايا العقيدة، ويقابل ذلك الفقه الأصغر وهو ما يلي الفقه الأكبر من العيش حسب محددات الفقه الأكبر. وهذا يؤكد ما سبق تقريره من أن العقيدة أهم جزء في الدين وهو ما يميزه عن غيره لذا سمي الأكبر في مقابلة الأكبر. ودرس بعضهم قضايا العقيدة بالإيمان؛[9] من باب ما يجب على الإنسان التصديق به، ولعل هذا المصطلح مرادف لمصطلح العقيدة[10] نفسها. ويطلق بعضهم على العقيدة اسم علم الكلام[11] من باب الكلام في قضايا

---

[6] هو سيد قطب بن إبراهيم بن حسين شاذِلي. مصري، ولد في قرية "موشة" –موشا– إحدى قرى محافظة أسيوط المصرية سنة 1324 هـ = 1906. صلاح عبد الفتاح الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد** (دمشق: دار القلم، ط2، 1994)، ص334. وانظر ترجمة سيد قطب في الفصل الثاني من: رسالة الدكتوراه المعنون بـ: **الدين والتدين في الخطاب الإسلامي المعاصر في مصر**، لصاحبه د. سيكو توري، تحت إشراف وإرشادات د. أنيس مالك طه. والتي قدمت إلى قسم أصول الدين ومقارنة الأديان بكلية معارف الوحي والتراث في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

[7] هو الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي؛ وُلِد في مدينة يافا الفلسطينية عام ١٩٢١ م، ومن مؤسسي الجامعات الإسلامية المعاصرة على النهج الأكاديمي، ومن أهم وأوائل الدعاة إلى إسلامية المعرفة والاهتمام بالعلم كطريق الإصلاح والنهضة. له جهود كبيرة في تدريس الإسلام في جامعات الغرب؛ أقيمت عن جهوده وإسهاماته مؤتمرات كثيرة، منها المؤتمر العالمي الثاني عن البحث العلمي المعاصر حول الإسلام :تراث إسماعيل راجي الفاروقي،ا لمنظم من قبل قسم أصول الدين ومقارنة الأديان، كلية معارف الوحي والتراث والعلوم الإنسانية في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا؛ أكتوبر 2013. وقد ألقيت أصل هذه الورقة هناك؛ لتعدل إلى بحث علمي للنشر. انظر:

العلواني، **إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم**، ص 2؛

See: Hassan, *The integration of human sciences and revealed knowledge in the KIRKHS* (Kuala Lumpur: IIUM press, 1982). Pp. 111 – 124;

[8] انظر: أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، **الفقه الأكبر**، شرح محمد بن عبد الرحمن الخميس (الإمارات:مكتبة الفرقان، الطبعة الأولى، 1999).

[9] يوسف القرضاوي، **الإيمان والحياة** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط4، 1979).

[10] من أهم الكتب في هذا كتاب: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله، **العقيدة** (دمشق: دار قتيبة، ط 1، 1408)؛ **عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية (الشارقة: دار الفتح،**

العقيدة لا إثباتا كالفقه الأكبر أو العقيدة أو أصول الدين بل من باب الرد على من ينكر ما ثبت من قضايا العقيدة؛ سواء بالعقل والمنطق أو الفلسفة. ويطلق بعضهم على العقيدة أصول الدين[12] من باب أن الدين قائم على أصول وفروع، فالأصول هو أعمدة الدين وما يقوم عليه من عقيدة تمايزه عن غيره من الأديان، فهو إيمان في مقابل العمل. وهذا أيضا يؤكد ما سبق تقريره من أن العقيدة أهم جزء في الدين وهو ما يميزه عن غيره لذا سمي أصول الدين في مقابلة فروع الدين. ويسمي هذا العلم أحيانا بعلم التوحيد[13] تغليبا لما يميز دين الإسلام عن غيره من الأديان، فالتوحيد هو الفيصل بين الإسلام وبين غيره من الأديان التي تقر بوجود إله، لكن يشركون بهذا الإله، أو يخصصونه بقوم معينين، أو يشرحون التوحيد بما قد يناقضه. ومن هذه المصطلحات الإبانة[14] ، والانتصار[15] والبرهان[16]. وغير ذلك من المصطلحات المعروفة.

فالظاهر أن هذه الإطلاقات المتعددة على الموضوع الواحد أمر اجتهادي وتغليبي. فيغلب مصنف أو باحث ما أحد الاصطلاحات على أخرى. ولعله يجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن هذا

ط 1، 1995)؛ محمد عياش الكبيسي، **المحكم في العقيدة** (الدوحة: أعلام للفكر والثقافة، الطبعة الأولى، 2003). ص 15 فما بعد. وانظر: محمود حمدي زقزوق، **العقيدة الدينية** (القاهرة: الأزهر، د.ط، 1415 هـ.) ص 32.

[11] انظر ما بين في ذلك ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون **مقدمة ابن خلدون** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، 1992). ص 491.

[12] عبر الأشعري عن هذه القضايا **بأصول الديانة**؛ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، **الإبانة عن أصول الديانة** (القاهرة: دار الأنصار، الطبعة الأولى، 1397 ه). وعبر عنها ابن حزم بأصول الدين؛ أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم الظاهري، **النبذة الكافية في أحكام أصول الدين** (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1405 ه).

[13] من أشهر الكتب بهذا كتاب: أبو عبد الله بن إسحاق بن محمد بن منده، **التوحيد**، تحقيق علي بن محمد بن نصار الفقيهي (سلسلة عقائد السلف، 6.)؛ وأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزوجل**، تحقيق : عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان (الرياض: مكتبة الرشيد، ط 5، 1994)؛ وعبد الله بن محمد بن علي بن محمد الهروي أبو إسماعيل، **الأربعين في دلائل التوحيد**، تحقيق : علي بن محمد بن ناصر الفقيهي (المدينة المنورة: ط 1، 1404)؛ والحافظ أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، **كتاب التوحيد لله عز وجل**، تحقيق مصعب بن عطا الله الحايك (الرياض: دار المسلم، د. ط، 1998)؛ ويذكر أيضا من أشهر وأهم الكتب في هذا كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، لمحمد بن عبد الوهاب.

[14] أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، **الإبانة عن أصول الديانة** (القاهرة: دار الأنصار، الطبعة الأولى، 1397 ه).

[15] يحيى بن أبي الخير العمراني، **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار**، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، (الرياض: أضواء السلف، الطبعة الأولى، 1999).

[16] أحمد بن علي بن ثابت الرفاعي الحسيني، **البرهان المؤيد** (بيروت: دار النفيس، الطبعة الأولى، 1408 ه).

البحث يفضل استخدام مصطلح الدين على العقيدة وقضايا الإيمان، ويطلق على التدين ما يكون عليه حال الإنسان من بعد الإيمان. ويمكن سرد جملة أدلة لتقرير هذه النظرية، غير أن المكان لا يسمح، فليس مجاله![17]

هذا، ويجد المدقق أن الفاروقي في الحديث عن العقيدة الإسلامية أو أصول الدين اختار اسم التوحيد، ولعل سبب ذلك راجع أولا إلى رغبة الفاروقي في الربط القوي بين التوحيد وبين أبعاد الحياة. فالتوحيد عند الفاروقي هو مركزية مفهوم الله بالنسبة للمسلم، في كل مكان وفي كل فعل، وفي كل فكرة، وفي كل زمان.[18] والتوحيد هو العلاقة الوثقى بين الإسلام وكل مجالات الفكر والنشاط الإنسانيين.[19] والتوحيد هو رؤية عامة للحقيقة، وللواقع، وللعالم، وللمكان وللزمان، ولتاريخ الإنسانية ولمصيرها.[20]

وهكذا لم تختلف فكرة التوحيد ومفهومه عما عهده المسلمون من قبل؛ وقد عرفه الفاروقي في مكان آخر بأنه الإقرار بأنه وحده لا شريك له، هو السبب الأول لكل ما في الوجود. وقدرة الله ليست بمنأى عما يجري في الكون، ولا تسبيبه غير مباشر، على نحو يحيله إلى إله فرغ من الخلق، وترك الكون يعمل بذاته دون تدخل منه. وكان الذهول عن ذلك هو الخطأ الذي وقع فيه الفلاسفة الذين زعموا انتقال علاقة السببية من الخالق إلى الخليقة، ونظروا إلى الكون على أنه صار شبيها بالساعة، لا تحتاج بعد صنعها إلى تدخل صانعها، لتعمل وتؤدي دورها.[21]

ولعل النظرة إلى التوحيد بهذا الأمر مسألة لا جديد فيها؛ ولعل الفاروقي نفسه يقر بهذا؛ حيث بين أن الشيخ **محمد بن عبد الوهاب** أفاض في كتابه التوحيد **الذي هو حق الله على العبيد** في بيان أن كل خرافة، وكل عمل من أعمال السحر أو الدجل، يوقع فاعله، والمتعاطي معه المصدق له في الشرك،

---

[17] من الجدير بالذكر أن هذه المعلومات قرين الصلة برسالة الدكتوراه المعنون بـ: **الدين والتدين في الخطاب الإسلامي المعاصر في مصر**، لصاحبه د. سيكو توري، تحت إشراف وإرشادات د. أنيس مالك طه. والتي قدمت إلى قسم أصول الدين ومقارنة الأديان بكلية معارف الوحي والتراث في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. وسيتم نشر أهم الخطابات التي درست في الرسالة قريبا بإذن الله.

[18] See: Ismai'il Raji al-Faruqi, *Tawhid: its implication for though and life* (Herndon: International Institute Of Islamic Thought, 1982). Preface.

إسماعيل راجي الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**، ترجمة السيد عمر، 2010. ص 31.

[19] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 31.

[20] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 46.

[21] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 106.

أي في انتهاك حمي التوحيد.[22] فقد يكمن تجديد الشيخ في تركيزه على أكثر ما ينتهك حمي التوحيد في عصره، ولعل الفاروقي ركز على مثله في عصره.

وعليه؛ فلعل جديد الفاروقي في مجال العقيدة يكمن في محاولة إعادة صياغة التوحيد، أو حسن تنزيله على أبعاد الحياة، وهذا الهدف يتماشي مع غرض تأليف الكتاب؛ فهم لم يؤلفه لقلة كتب العقيدة، بل ليكون شعلة للشباب نحو الإصلاح المنشود، وهكذا ألبس التوحيد رؤية مغايرة.

ولعل سبب اختيار الفاروقي اسم التوحيد كعنوان عريض لمسائل أصول الدين يرجع ثانيا إلى تأثره بمحمد بن عبد الوهاب في كتابه التوحيد، وذلك أن الفاروقي نقل عنه صريحا؛ علما أن النقل ليس من منهج الفاروقي إلا نادرا؛ ومن الكتاب الغربيين إن لزم. فنقله عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بذكر اسمه واسم كتابه في المتن دون غيره ممن يكتبون بالعربية عن التوحيد خير دليل على تأثره به.
ويرجع السبب الثالث لاختيار الفاروقي هذا المصطلح ما تم بيانه مسبقا من الأسماء المختلفة لهذا الفن، وأن التوحيد واحد من هذه المصطلحات تغليبا لمكانة التوحيد وأهميته من بنية الإسلام.

هذا، وإن سيد قطب في كلامه عن العقيدة الإسلامية أو "الدين" والذي يمثل العقيدة أو عنصر الإيمان الركن الأول لقيامه، نجده يستخدم مصطلحات لم يقف البحث على من سبق سيد قطب في هذه الاصطلاحات. فهو يستخدمها للحديث عما يتحدث عنه العلماء في حديثهم عن العقيدة أو أصول الدين أو التوحيد أو الإيمان وما إلى ذلك.

من بين هذه المصطلحات مصطلح "التصور الإسلامي" فهو مصطلح يعبر به سيد قطب عن العقيدة كما سنرى. ولعل هذا الإطلاق واستخدام الاسم الجديد نابع من مجموع رؤى وأفكار سيد قطب كما سيتبين في البحث.

ولعل أبسط دليل أو أوضحه في بيان استخدام سيد قطب مصطلح التصور الإسلامي للحديث عن أصول الدين والتوحيد هو كتابا سيد قطب اللذان يبينان العقيدة الإسلامية أو أصول الدين، ألا وهما "**مقومات التصور الإسلامي**" و "**خصائص التصور الإسلامي**" وقد أراد أن يخرج الثاني بعنوان "فكرة الإسلام عن الله والكون والحياة"، ومن ثم عدل عن ذلك إلى هذا الاسم "خصائص التصور الإسلامي".

نجد في أول جملة يستخدمها سيد قطب في **خصائص التصور الإسلامي** ما يشير إلى ما ذكر الباحث من استخدام المصطلح بمعني العقيدة والتوحيد، حيث ذكر أن تحديد "خصائص التصور الإسلامي ومقوماته" مسألة ضرورية لأنه لابد للمسلم من تفسير شامل للوجود، يتعامل على أساسه مع هذا الوجود. ولابد من تفسير يقرّب لإدراكه طبيعة الحقائق الكبرى التي يتعامل معها، وطبيعة العلاقات والارتباطات بين هذه الحقائق: حقيقة الألوهية. وحقيقة العبودية (وهذه تشتمل على حقيقة الكون.

---

[22] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 107.

وحقيقة الحياة. وحقيقة الإنسان).. وما بينها جميعاً من تعامل وارتباط.[23] وهذا عين مسائل علم الكلام أو علم أصول الدين أو التوحيد...علاوة على أن القضايا والمضامين والمسائل المتناوَلة واحدة. وعلى غرار هذا أو قريب منه بيانه في **مقومات التصور الإسلامي** من أن الالتزام بمقومات التصور الإسلامي دون غيرها هو الالتزام بالإسلام، وعدم الالتزام بها هو الرفض للإسلام، وليس مجرد ذلك بل رفض لدين الله أصلا، إذ عنده ليس هناك من طريق وسط، وليس من هنالك صورة أخرى تتحقق بها صفة المسلم للإنسان.[24] ويبين في موطن آخر أنه كما يتحدث التصور الإسلامي عن حقيقة الألوهية وخصائصها وآثارها وصفاتها، باعتبارها الحقيقة الأولى، والحقيقة الكبرى، والحقيقة الأساسية في هذا التصور؛ فكذلك يتحدث عن حقيقة العبودية وخصائصها وصفاتها. يتحدث عن هذه الحقيقة ممثلة في الكون، والحياة، والإنسان. فيتحدث عن حقيقة الكون، وعن حقيقة الحياة، وعن حقيقة الإنسان، ويتناول – في هذا الحديث– طبيعتها ونشأتها وصفاتها وأحوالها، وعلاقاتها فيما بينها، ثم علاقتها بالحقيقة الإلهية الكبرى.[25]

إن العبارات المعطاة لما أسماه بالتصور الإسلامي ليوحي إلى أن المصطلح مستعمل للحديث عن العقيدة الإسلامية التي تَفصِل بين الكفر والإسلام؛ بل دع عنك هذا التحليل والاستنباط الذي قد يكون قابلا للأخذ والعطاء، ودعنا ننظر في تعريفه الصريح لمقومات التصور الإسلامي، حيث عرف سيد قطب التصور الإسلامي بمجموعة الحقائق العقدية الأساسية التي تنشئ في عقل المسلم وقلبه ذلك التصور الخاص للوجود، وما وراءه من قدرة مبدعة وإرادة مدبرة، وما يقوم بين هذا الوجود وهذه الإرادة من صلات وارتباطات.[26]

وفي تعريفه هذا للتصور الإسلامي نجد وضوح الترادف والتشابه بينه وبين مصطلحات المختلفة في هذا الشأن. فهو مجموعة حقائق عقدية مؤلفة من الإلهيات والنبوات، والسمعيات. وما قد يدمج أحيانا من مسائل الإمامة والمنهج وما إلى ذلك.

هذا من جهة تعريف بحت، ومن جهة استخدامه في خضم الكلام وفي ثنايا كتبه يتضح لنا هذا أكثر فأكثر، فهو في الحديث عن العقائد والتوحيد يؤثر استخدام التصور الإسلامي هذا بدلا مما هو معلوم من مصطلحات أخرى. فيقول في معرض بيان الفرق بين العقيدة الإسلامية وبين النظريات الوضعية أو البشرية أو بين الأديان الأخرى أن "التصور الإسلامي هو التصور الاعتقادي الوحيد الباقي بأصله "الرباني" وحقيقته "الربانية". فالتصورات الاعتقادية السماوية، التي جاءت بها الديانات قبله، قد

---

[23] سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي** (القاهرة: دار الشروق، ط10، 1988). ص1.

[24] سيد قطب، **مقومات التصور الإسلامي** (القاهرة: دار الشروق، ط3، 1988). ص16.

[25] سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي**، ص108.

[26] سيد قطب، المصدر نفسه، ص41.

دخلها التحريف".[27] ويقول في المجال نفسه أيضا أن " التصور الإسلامي هو التصور الوحيد الذي بقي قائماً على أساس التوحيد الكامل الخالص. وإن التوحيد خاصية من خصائص هذا التصور، تفرده وتميزه من بين سائر المعتقدات السائدة في الأرض كلها على العموم".[28] فلا يخفي مدي استخدامه كلمة "التصور الإسلامي" في التعبير عن مفردات الدين أو أصول الدين أو العقيدة الإسلامية أو التوحيد أو علم الكلام. العامل في هذا لا يقل أهمية من عوامل ظهور الإطلاقات والمصطلحات السابقة.

وعُهد دراسة مسائل هذا النوع تحت علم التوحيد، الكلام، العقيدة، أصول الدين، الفقه الأكبر، أما التصور فأول من يطلقه على مسائل هذا النوع سيد قطب حسب اطلاع الباحث إلى الآن.[29]

ومن ناحية تحليل سر استخدام التصور بدلا من المصطلحات القديمة المعروفة يكاد يكون واضحا من الوهلة الأولى؛ حيث إن التصور هو الذي يحدد نظرة الإنسان إلى الحقائق الكبرى في الوجود، وهذا قريب الصلة بتعريف سميث[30] الدينَ بالإيمان؛ حيث يري أن المفهوم الأجدر لمصطلح الدين هو الإيمان أو التقاليد المتراكمة. واقترح مصطلح الإيمان faith or belief، بدلا من الدين Religion.[31] وقد علق أنيس مالك طه في كتابه **التعددية الدينية: رؤية إسلامية** على تعريف سميث، مبينا أن الذي نسميه الدين اليوم وفقا لما يذهب إليه سميث هو الشيء المجرد الذي يعتبره الناس من خلال نافذة النظر عندهم أو نظارة الإبصار لديهم، ويطلقون عليها اسم الدين؛ على أنها مجموعة منظمة من الاعتقادات

---

[27] سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي**، ص47.

[28] سيد قطب، المصدر نفسه، ص202.

[29] ولعل التصور يختلف عن الرؤية worldview، على أن للأستاذ محمد نقيب العطاس دراسة تحليلية للفظة، وبين تداعيات الكلمة والترجمة، وفضل أن تترجم الكلمة إلى رؤية الإسلام للوجود، وليس رؤية الإسلام للكون. حيث وراء الكون وجود آخر في الفكر الإسلامي كما يبين العطاس. انظر:

See: Syed Muhammad Naquib al-Attas, *Prolegomena to the Metaphysics of Islam* (Kuala Lumpur, International Institute Of Islamic Thought And Civilization, 1995). P. 1- 4.

وبهذا أقول التصور الإسلامي، ليس هو وبالتإلى يكون سيد قطب أول من أطلق المصطلح لدراسة حقيقة الكون والحياة والإنسان، أو ما كان يعرف بالتوحيد أو الكلام أو ...

[30] هو: ويلفيرد كانويل سميث؛ من كبار علماء الغرب في حقل دراسات الأديان؛ ومن أوائل المنظرين لمفهوم الدين، ومن الداعين إلى علم مقارنة الأديان ودراسة ظاهرة الدين. انظر:

Kunin,Seth. *Religion: The Modern Theories* (2003). Edinburgh: Edinburgh University Press.
Dominic. & Peggy Morgab, (2006). *Get Set for Religious Studies* Edinburgh: Edinburgh University Press.

[31] See: Wilfred Cantwell Smith, *The Meaning and End of Religion* (New York, Macmillan, 1963).

المتجددة المتطورة بين وقت وآخر.[32] فالدين بمعني الإيمان أو التصور أو منظار الرؤية هو ما جعل سيد قطب يختار "التصور الإسلامي" للحديث عن قوام الدين أو أصول الدين.

ويجد المتتبع أن محمد عبد الله دراز في تعريفه للدين يري أنه: "هو جملة **النواميس النظرية** التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم **طريق عبادتها**".[33] فعندنا هنا أيضا أولا النواميس النظرية وهو الإيمان كما عبر سميث ونظارة أو نافذة الروية كما أشار أنيس مالك. ولعل من أجل كل هذا عبر الفاروقي عن التوحيد بأنه جوهر.[34]

ولعل سيد قطب بهذا يبين أن نظرة المسلم إلى الحياة وتصوره عنها قائم على جملة عناصر معروفة، وليس على غيرها مما يرى الأديان أو المذاهب الفكرية القائمة، والتي تريد فرض هيمنته على العالم الإسلامي. وقد يكون هذا التعليل مقبولا لو عرفنا لب أفكار سيد قطب من الحاكمية والمجتمع الإسلامي، وما يقابله من المجتمع الجاهلي.

يضاف إلى هذا أن من سر استخدام التصور بدلا من المصطلحات القديمة المعروفة ما عرف به سيد قطب من الأسلوب الأدبي في التصوير الفني والبيان، وما عهد به من الطابع الأدبي في كتاباته.[35]

فمجمل هذا المبحث يبين أن سيد قطب في حديثه عن أصول الدين يطلق مصطلحا لم يقف الباحث على من سبق وأن أطلق ذاك المصطلح على مجموعة حقائق الدين الذي عرف بمصطلحات أخرى غير مصطلح التصور الإسلامي. بينما تبني الفاروقي اسما من الأسماء القديمة، وهو مصطلح التوحيد لأن ذلك يساعد قي تحقيق ما يرمي إليه من إسباغ النظرة التوحيدية على أبعاد الحياة.

---

[32] طه، أنيس مالك، **التعددية الدينية: رؤية إسلامية** (كوالالامبور: مركز البحوث في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، الطبعة الأولى، 2005). ص 89 فما بعد.

[33] انظر: محمد عبد الله دراز، **الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان** (الكويت: دار القلم، 191952). ص30؛

[34] انظر في هذا مناقشة الفاروقي لسميث في مقالته:

Al- Faruqi, Ismail R. The Essence of Religious Experience In Islam. Journal of Numen, vol xx, fasc. P. 2.

وفي استخدام الفاروقي لفظ *Essence* دلالة على ما نحن بصدده. حيث أنه يرى في نفس المقالة أن *Essence* هو الجانب التوحيدي، أو ما يدرس في علم التوحيد أو العقيدة. وأن غير *Essence* هو الجانب العملي التشريعي، وهو ما اهتم به المسلمون باسم الفقه. على أن لل*Essence* علاقة بلا شك بغير *Essence*. وسنقف على المزيد.

[35] يمكن مراجعة الفصل الثاني من: **الدين والتدين في الخطاب الإسلامي المعاصر في مصر**، لصاحبه د. سيكو توري، حيث كرس باب كامل للحديث عن خطاب الحركة الإسلامية بزمامة سيد قطب.

المبحث الثاني: الهدف من تأليف الكتابين:

يجد المتتبع لتاريخ الفكر الإسلامي أن العقيدة الإسلامية كانت تكتب لملئ فراغ موجود، ومن هنا تباينت المسائل المدروسة كما وكيفا بين كتاب وآخر. وفي هذا الصدد يجدر بالذكر أن كلا من سيد قطب والفاروقي سعيا إلى تأليف كتاب معين عن العقيدة لا لمجرد معرفة العقيدة فحسب، بل لتكون العقيدة القوة الدافعة للعمل، والحركة وبناء حضارة بلغة معاصرة.

مهد الفاروقي كتابه ببيان أن ما يعيشه العالم الإسلامي من تخلف وسوء الأوضاع في كل بعد من أبعاد الحياة؛ السياسية والاقتصادية والحضارية والاجتماعية والتعليمية والحضارية الفنية. وبين أن ثمة محاولات لإنهاء الأزمة ولتقديم حل إسلامي، ثم بين رأيه في سبب فشل هذه المحالات الإصلاحية المختلفة؛ السلفية منها والحركات الإسلامية أو العقلانية حسب تعبيره هو. ومن هنا يجد المدقق أن كتاب التوحيد ألف لتقديم حل إسلامي لواقع الأمة.

وعليه؛ فإن الفاروقي لم يسع إلى دراسة التوحيد كعقيدة أو أصول الدين فقط وإن نوه لذلك؛ بل هدف كتابه كما هو واضح في المقدمة إلى تعريف الشباب المسلم برؤية الإسلام للوجود، **على أمل التحرك بهم مسلحين** بالوعي بتلك الرؤية على طريق الإصلاح الحقيقي للنفس، وتمكينهم من تحديث معطيات الرؤى الفكرية المبكرة التي قدمها رواد الحركة السلفية العظام.[36] وإلى تسليط الضوء على العلاقة الوثقى بين الإسلام وكل مجالات الفكر والنشاط الإنسانيين.[37]

ومن جهة أخرى يجد المدقق أن هذا هو عين ما هدف إليه سيد قطب، فقد ألف ليحرك بالتصور الإسلامي الشباب إلى العمل وبناء مجتمع إسلامي. لقد كرس سيد قطب **خصائص التصور الإسلامي، و مقومات التصور الإسلامي**، للحديث عن العقيدة الإسلامية أو التوحيد أو أصول الدين، وقد أراد أن يخرج الكتاب بعنوان "فكرة الإسلام عن الله والكون والحياة"، ومن ثم عدل عن ذلك إلى هذا الاسم "خصائص التصور الإسلامي. يبين سيد قطب في مقدمة كتابه أن من الضروري للمسلم معرفة حقيقة مركز الإنسان في هذا الوجود الكوني، وغاية وجوده الإنساني. إذ من هذه المعرفة يتبين دور "الإنسان" في "الكون" وحدود اختصاصاته كذلك. وحدود علاقته بخالقه وخالق هذا الكون جميعاً. وليس هذا هو الهدف فحسب بل يذكر سيد قطب أن فهم حقيقة الله والكون والإنسان لا ينبغي أن يكون مجرد معرفة وإدراك فإنه لا يهدف إلى مجرد "المعرفة" الباردة، التي تتعامل مع الأذهان، وتحسب في رصيد "الثقافة"! إن هذا الهدف في اعتبار سيد قطب لا يستحق عناء الجهد فيه! إنه هدف تافه

---

[36] من أمثال: محمد بن عبد الوهاب ومحمد إدريس السنوسي، وحسن البنا، ونظراؤهم

[37] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 33.

رخيص! إنما ينبغي أن نبتغي "الحركة" من وراء "المعرفة". يبتغي سيد قطب أن تستحيل هذه المعرفة قوة دافعة، لتحقيق مدلولها في عالم الواقع.[38]

وهكذا يتضح بأن سيد قطب والفاروقي سعيا إلى تأليف كتاب معين عن العقيدة لا لمجرد معرفة العقيدة فحسب، بل لتكون العقيدة القوة الدافعة للعمل، والحركة وبناء حضارة بلغة معاصرة.

[38] سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي**، ص5 – 21.

المبحث الثالث: قضايا العقيدة عندهما

أولا: وجود الله عندهما

في محاولة إثبات وجود الله، –دون أن يحمل ذلك عنوانا عريضا في الكتاب–؛ حاول الفاروقي الجمع بين منطق فلاسفة الإسلام وعلى رأسهم الغزالي وابن سينا وبين من أسمهم برجال الدين، فأثبت أنه يتوصل إلى وجود الله عبر خلق هذا الكون والنسق الجمالي الكائن فيه، ما يعرف بدليل الخلق والإبداع أو الخلق والعناية، أو مبدأ السببية في كتب العقيدة.

وفحوى نقاش الفاروقي في هذا هو أن هذا العالم يحدث فيه كل شيء بسبب، وتكون الأسباب فيه طبيعية، أي نابعة منه ومتضمنة فيه، مما قد يظن به أنه عالم إلى الحركة، بغير حاجة إلى رب يدبر أمره، ويحفظه. ولا تشبع مثل هذه الصورة للإله الإحساس الديني للإنسان. فإما أن يكون ثمة إله هو الخالق الذي يستمد منه كل ما في الوجود كينونته، وعلة وجوده، وبأمره يحدث كل شيء. وإما أن تنتفي عنه صفة الإله بمطلقها؛[39] وهذا مرفوض عقلا.

يقول الفاروقي في نهاية عملية المقارنة بين رؤى الفلاسفة ورجال الدين عن مركزية الله بالكون أن: " ولب هذا التصور هو أن مبدأ السببية (حقيقة لا تنكر؛ يستنبط منه وجود الله) محكوم بالإرادة الإلهية الحاضرة على الدوام،ومتكيف معها. وبهذا الطرح كانت لرجال الدين الحجة البالغة على الفلاسفة"[40]

وفي المقابل يجد المدقق أن سيد قطب أيضا لم يقف كثيرا على سرد أدلة وجود الله، كما هو الأمر في علم أصول الدين أو علم الكلام خاصة. لكن يلمح ويشير سيد قطب لوجود الله في شرحه لآيات الخلق في **الظلال**؛ خلق الإنسان والكون خاصة.

ولعل السبب في عدم اهتمامه بالتركيز الأولى على سرد أدلة وجود الله شأن كتب العقيدة عاما، سواء الدليل النقلي منها أو العقلي هو إيمانه بأن الدعوة الإسلامية – على يد محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم – إنما تمثل الحلقة الأخيرة من سلسلة الدعوة الطويلة إلى الإسلام بقيادة موكب الرسل الكرام.. وهذه الدعوة على مدار التاريخ البشري كانت تستهدف أمراً واحداً: هو تعريف الناس بإلههم الواحد وربهم الحق، وتعبيدهم لربهم وحده ونبذ ربوبية الخلق.. **ولم يكن الناس – فيما عدا أفراداً معدودة في فترات قصيرة – ينكرون مبدأ الألوهية ويجحدون وجود الله البتة**، إنما هم كانوا يخطئون معرفة حقيقة ربهم الحق، أو يشركون مع الله آلهة أخرى: إما في صورة الاعتقاد والعبادة، وإما في صورة

---

[39] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 33، 41.

[40] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 34، 56، 120.

الحاكمية والاتباع، وكلاهما شرك كالآخر يخرج به الناس من دين الله، الذي كانوا يعرفونه على يد كل رسول، ثم ينكرونه إذا طال عليهم الأمد، ويرتدُّون إلى الجاهلية التي أخرجهم منها، ويعودون إلى الشرك بالله مرة أخرى. إما في الاعتقاد والعبادة، وإما في الاتباع والحاكمية. وإما فيها جميعاً.[41]

وعن حقيقة وجود الله يذكر في كتابه **خصائص التصور الإسلامي** أن كل ما يتعلق **بالحقيقة الإلهية** – وهي قاعدة التصور الإسلامي– ثابت الحقيقة، وثابت المفهوم أيضاً. وغير قابل للتغيير ولا للتطوير: **حقيقة وجود الله، وسرمديته، ووحدانيته –بكل إشعاعاتها– وقدرته، وهيمنته، وتدبيره لأمر الخلق، وطلاقة مشيئته.. إلى آخر صفات الله** الفاعلة في الكون والحياة والناس. وأن حقيقة الكون كله –أشياءه وأحياءه– من خلق الله وإبداعه. أراده الله –سبحانه– فكان. وليس لشيء ولا لحي في هذا الكون، أثارة من أمر الخلق في هذا الكون، ولا التدبير ولا الهيمنة. ولا مشاركة في شيء من خصائص الألوهية بحال.[42]

ومما يذكر كدليل وجود الله عند سيد قطب بيان سيد قطب أن التصور الإسلامي يتعامل مع إله "موجود"، يدل خلقه على وجوده وتدل حركة هذا الكون على وجوده وعنايته للكون.[43]

وهكذا فإن وجود الله مسألة مسلمة بها؛ ويتوصل إلى حقيقة وجود الله عند الفاروقي وقطب عبر خلق هذا الكون والنسق الجمالي الكائن فيه، ما يعرف بدليل الخلق والإبداع أو الخلق والعناية، أو مبدأ السببية في كتب العقيدة. وهذه الأدلة مستنبطة أو مستوحاة من آيات لفت الأنظار في القرآن، والحث على التدبير والفكر وإعمال العقل.

ثانيا: توحيد الربوبية، والألوهية والأسماء والصفات:

يجد المتتبع أن من حقيقة وجود الله السالفة الذكر عند الفاروقي تبين لنا ما هو معروف في علم العقيدة أو أصول الدين **بتوحيد الربوبية** أي الإقرار بأن الله هو الرب الخالق لكل ما في الكون، وهو المدبر له. وهذا ما عبر عنه الفاروقي بأن المعيارية في مفهوم الإله، أنه سبحانه المدبر لكل ما في الوجود، وعنايته بالكون وبكل ما يصدر فيه من حركات وسكنات وأفعال حقائق لا يرقي إليها الشك.[44]

---

[41] سيد قطب، **معالم في الطريق**، ص47.

[42] سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي**، ص81.

[43] سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي**، ص180.

[44] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 35، 55.

لكن قضية وجود الله وإثبات ربوبيته أمر مفروغ منه في الخطاب القرآني، وأغلبية الناس يؤمنون بهذا المبدأ؛ إذ الإلحاد حالة مرضية كما يفهم من الخطاب القرآني، ومن تاريخ البشرية القديم، وبما نقله القرآن لنا من إقرار مشركي قريش بذاك.

وهذه الحقيقة تحملنا إلى شيء أكثر من مجرد بيان إثبات الله؛ من عبادة هذا الإله، واتخاذه ربا معبودا، بل الله الوحيد المستحق للعبادة، وهذا ما يعرف **بتوحيد الألوهية**. ولهذا السبب نجد الفاروقي يذكر بأن المعيارية في مفهوم الإله، أنه سبحانه المدبر لكل ما في الوجود، وعنايته بالكون وبكل ما يصدر فيه من حركات وسكنات وأفعال حقائق لا يرقي إليها الشك. ويؤكد في هذا الصدد أن اتباع الإنسان لمشيئته ولإرادته قدر استطاعته، هو أساس قيمة الفعل الإنساني. وتلك الإرادة الإلهية هي التي تحدد للإنسان ما ينبغي أن يكون عليه كل ما في الوجود، حتى في الحالات التي لا يترتب على إنجازها بالفعل، واجبا تكليفيا نابعا منها عليه. ومع أن تلك الذات الإلهية مطلقة وغيبية، فإنها ليست معزولة عما هو قيمي، ولا قابلة للتأكيد عليها على حسابه.[45]

يضاف إلى هذا أن الفاروقي يبين أن من خصائص التوحيد العام الذي تولد منه توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، نخرج بما يسمي بـ **توحيد الأسماء والصفات**. لأنه يترتب على تصور الذات الإلهية بوصفها المنتهي الأخير المطلق، ومصدر الأساس القيمي لكل ما في الوجود، حتمية أن يكون الإله واحد أحدا فردا صمدا، ليس كمثله شيء . يقول الفاروقي: "لقد تتضمن القرآن تسعة وتسعين اسما أو أكثر معبرة عن ربوبية الله تعالى وحاكميته ورعايته لكل ما في الوجود." [46]

يجدر بالذكر أن الفاروقي يرى أن في غيبة شرط توحيد الألوهية، ينفتح الباب مجددا لإثارة مسألة وجود أول آخر، أو قديم آخر في الوجود، وأولوية أو علو أحدهما على الآخر. فجوهر المنتهى أن يكون فريدا و لا نظير له. وهذا القول ذاته ينطبق على العلة الأخيرة من سلسلة العلل المترابطة.[47]

وفي المقابل يجد المدقق أن سيد قطب يثبت معاني هذه الثلاثة؛ توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية والأسماء والصفات بعبارات واصطلاحات مختلفة. حيث يلاحظ المتتبع[48] أن سيد قطب في كلامه عن

---

[45] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 35، 59، 120.

[46] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 69.

[47] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 36، 55.

[48] لما مضى من نصوص من مثل "الحقيقة الإلهية – وهي قاعدة التصور الإسلامي– ثابت الحقيقة، وثابت المفهوم أيضاً. وغير قابل للتغيير ولا للتطوير: حقيقة وجود الله، وسرمديته، ووحدانيته –بكل إشعاعاتها– وقدرته، وهيمنته، وتدبيره لأمر الخلق، وطلاقة مشيئته.. إلى آخر صفات الله الفاعلة في الكون والحياة والناس" ومن مثل " يتحدث

وجود الله وعن وحدانيته وعن صفاته، يتحدث عن هذه الأمور بمصطلح "ألوهية" بينما المعهود في كتب العقيدة أو أصول الدين يتحدثون عن وجود الله واعتراف المشركين به باسم "الربوبية" أي الاعتراف بأن ثمة خالق لهذا الكون هو الرب، فيقولون تعيقا على آية: "ولئن سألتم من خلق السموات والأرض ليقول الله" أن الكفار مقرون بتوحيد الربوبية لكن لم يقروا بتوحيد الألوهية أي اتخاذ هذا الرب إلها، وهو مصطلح من المصطلحات كما نعلم. لكن سيد خالف في هذا وعكس الأمر، ليصبح لسان حال سيد قطب: **لم ينكر الناس أو المشركين "الألوهية" وجود الله؛ انطلاقا من ليقولن "الله" لكن ينكرون الربوبية؛ أي لم يتخذوه ربا معبودا**. وهكذا عكس سيد قطب متماشيا مع المنهج القرآني ومعرضا عن الاصطلاح المعروف في التخصص. على أن له استخدام أوسع لهذه الكلمة "الألوهية" سيتحدث الباحث عن ذلك في جزئية ستأتي بعنوان "ألوهية".

ومن هنا تبين أن سيد قطب لا يستخدم مصطلح "الربوبية" بمعناه المعروف، لأنه لم يستخدم الألوهية بمعناها المعروفة، يمكن مراجعة الكلام السابق؛ ولننظر بتمعن إلى النصين الآتيين ليتم المقايسة على غرارها. يقول قطب وهو يعرف بسورة هود قبل شروعه في شرحها: "ولكي يدين الناس لله وحده بالربوبية، فإن سورة هود تتولى تعريفهم به سبحانه، وتقرر كذلك أنهم في قبضته في هذه الدنيا وأنهم راجعون إليه يوم القيامة ليجزيهم الجزاء الأخير.. هي لا تستهدف إثبات وجود الله – سبحانه – إنما تستهدف تقرير ربوبية الله وحده في حياة البشر،كما أنها مقررة في نظام الكون..**فقضية الألوهية لم تكن محل خلاف إنما قضية الربوبية هي التي كانت تواجهها الرسالات** وهي التي كانت تواجهها الرسالة الأخيرة".[49]

وهنا بيان من كتابه **خصائص التصور الإسلامي**، إذ جاء فيه وهو يتحدث عن آية 31 من سورة التوبة أن أهل الكتاب اتخذوا المسيح ابن مريم رباً بمعني ربوبية العبادة والشعائر. واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً– لا بهذا المعنى ولكن بمعني التلقي عنهم في الشرائع والأوامر –ولكن الآية جمعت بين اتخاذهم المسيح ربا واتخاذهم الأحبار والرهبان أرباباً. وقررت أن هذا كله مخالف لما أمروا به من عبادة إله واحد. ودمغتهم بالشرك بسبب اتخاذهم الأحبار والرهبان أرباباً للتشريع."[50]

يرى الباحث هنا أنه لعل سيد قطب استنبط هذا من المنهج القرآني، فهو كثيرا ما ينادي إلى "كلمة في المنهج" و"جيل قرآني" و"منهج الله" وما إلى ذلك إشارة إلى أهمية اتباع المنهج القرآني والطريقة

التصور الإسلامي عن حقيقة الألوهية وخصائصها وآثارها وصفاتها، باعتبارها الحقيقة الأولى، والحقيقة الكبرى، والحقيقة الأساسية في هذا التصور.." كما رأينا قبل صفحة.

[49] انظر تعريف بسورة هود: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج7، ص430.

[50] سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي**، ص215.

التي سلكه القرآن في الدعوة. أيّاً كان الأمر فهذا رأي وتحليل، قد يؤيده جملة ما سبق، يضاف إليها النص الآتي المستنبط من القرآن، حيث يقول سيد قطب: "يقول يوسف في معرض تفنيد ربوبية الحكام في مصر ومخالفتها لوحدانية الألوهية: «يا صاحِبَيِ السِّجْنِ، أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ؟ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ.إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ،أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ،ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ»".[51] فأرباب هنا لا يعني القناعة بأنهم خالقو الكون والحياة والإنسان، وإنما للسماع لهم وطاعتهم وعبادتهم فيما قالوه.

وفيما يخص الأسماء والصفات فلعل سيد قطب بعد بيانه وجود الله بخلقه يثبت لله كل صفة كمال وينفي عنه كل صفة نقص؛ يقول: "يتعامل التصور الإسلامي مع إله "موجود"، يدل خلقه على وجوده، فهو "مريد". "فعال لما يريد" تدل حركة هذا الكون وما يجري فيه على إرادته وقدرته. ومن ثم يفترق تصور الإله في الإسلام" عن غيره من الأديان والمذاهب.[52]

ومن هنا انتقد المدخلي سيد قطب، وبين أن الربوبية والألوهية غير واضحة عند سيد قطب. ورد عليه صاحب كتاب الدفاع عن سيد قطب بأن حقيقة الأمر متوفر لكن لا مشاحة في الاصطلاح. والباحث هنا لا يرد ولا يدافع، يدرس ويصف الموجود، وكل الاحترام معروض أمام القارئ للاختيار.[53] فباختصار، أثبت الفاروقي وسيد قطب وجود الله، وضمن كتابيهما الإقرار بما يسمى بتوحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات؛ كل بشرحه الخاص، وبأسلوبه الخاص، وبمنهجه المعين.

الإنسان عندهما:

وهذه الجزئية البسيطة جزأ لا يتجزأ من حقيقة أصول الدين، حيث يأت جوابا عن من أنا؟ فالقرآن يجيبه بأنه عبد مخلوق لله سبحانه، حر ومفضل على كثير من المخلوقات تفضيلا لحمله الأمانة؛ لا لحنسه ولا لعرقه. ومن هنا يذكر الفاروقي أن الإنسان هو المخلوق الوحيد، الذي يتوفر في فعله الشرط الأخلاقي، وهو : الفعل الحر. والقيم الأخلاقية أرقي من القيم الأولية الطبيعية، حيث أنها تستبطن قبولها هي والقيم النفعية الوسائلية مسبقا، وتجاوزها، وتتبوأ بالتالي مكانة أسمي من كليهما. ومن الواضح، أن

---

[51] انظر تعريف بسورة يوسف: سيد قطب، المرجع نفسه، ج6، ص49.

[52] سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي**، ص180.

[53] انظر: ربيع المدخلي، **أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره** (المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الإسلامية، ط1، د.ت). ص 69. أبو بلال عبد القادر منير المذدغي العزابي، **الكشف الجلي عن ظلمات ربيع المدخلي** (الرباط: طوب بريس، ط1، 2002). ص159.

القيمة الأخلاقية للفعل الحر هي الشق الأسمى من الإرادة الإلهية التي لأجلها خلق الله الإنسان، وأنعم عليه بأن جعله خليفة بأمره في الأرض.[54]

وفي المقابل يجد المطلع أن محور الدين عند سيد قطب هو ألوهية وعبودية، وقد تبين تحليل رأيه في الألوهية؛ بقي العبودية. وقوامه هو أن الإنسان مخلوق لهذا الإله،[55] وهو مكرم ومفضل على سائر المخلوقات. بما يحمل من أمانة الخلافة وعمارة الأرض، التي أنيطت بعقل الإنسان؛ الفيصل بينه وبين سائر المخلوقات. فدوره الأساسي هو العبودية والسمع والطاعة. وإذا صح لنا التمثيل هنا فإنا نشبه ذلك بالرئيس والسفير. إذ مهمة الثاني تنفيذ أوامر الأول وفق رسالته وفلسفته وأهدافه.[56]

ويري قطب أن الإنسان في الإسلام –كما يظهر من خطاباته–، حقيقة مستقلة؛ خلقه الله من تراب ثم من نطفة..، إلى أن أصبح قويما في أحسن تقويم. وعليه؛ فهو ليس شهواني طبيعة، ولم يوجد عبثا، ولا أوجدته الطبيعة، ولا تطور من شيء كما يظهر في بعض الأديان أو التقاليد أو الفلسفات. بل الإنسان في الإسلام، وكما يظهر من خطابات سيد قطب مخلوق من مخلوقات الله، لم يوجد صدفة، ولم يأت نتيجة تطور واحتكاكات، ولا هو رب يعبد، وأنه لا يضر ولا ينفع، وإنما خلقه الله وسخره لأفضل خلقه، وأنه يسير بأمر الله طوعا، وعلى الإنسان أن يسير في طاعة الله طوعا.[57]

وبالجملة فإن حقيقة الإنسان عند قطب والفاروقي جزأ لا يتجزأ من إقرار وجود الله من حيث أنه الخالق للإنسان وكل ما في الكون. وعليه، فإن البشرية متساوية أمام الله، ووظيفتهم جميعا هو عبادة الله.

---

[54] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 41.

[55] See: Khattab, the *power of sovereignty: the political and ideological philosophy of Sayyid Qutb*. P. 47; Shepard, William E. *Sayyid Qutb and Islamic Activism* (New York: Brill, 1996). P. 25.

[56] سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي**، ص143 – 144؛ سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي**، ص40 و 197.

[57] نظر: قطب، **خصائص التصور الإسلامي**، ص117 – 119.

المبحث الرابع: الوجود والتوحيد:

أولا: الوجود وجودان: إله ولا إله عند الفاروقي، وألوهية وعبودية عند قطب:

ومن أهم ما يجدر الوقوف عليه في هذا الصدد ما اتفق عليه الفاروقي وقطب من أن الوجود وجودان. يجد المتتبع أن مع بيان عنصر مكانة الإنسان من الكون والحياة، بعد بيان مكانة الله وعلاقته بالكون؛ يتفق كل من سيد قطب بأن الألوهية لله والعبودية لكل ما سواه.

يذكر الفاروقي في هذا أن الوجود وجودان إله، ولا إله. خالق ومخلوقات. أما نظام الإله فهو قاصر على الله سبحانه وتعالى وحده. فهو وحده الرب السرمدي، الذي لا بداية له ولا نهاية. وهو الخالق، المتعالي، المتفرد على الدوام، بلا شبيه ولا شريك. وأما النظام الآخر، فيتعلق بالمكان والزمان والخبرة والخليقة، ويشمل كل المخلوقات وعالم الأشياء والنباتات والحيوانات والبشر والجن والملائكة والسموات والأرض والجنة والنار، وكل ما يتعلق بهم منذ أن جاءوا إلى هذه الحياة وحتى نهايتها.[58] يقول أيضا في سياق آخر: "ولا عذر للإنسان إن هو تقاعس عن القيام بموجبات خلافته في الأرض، في ظل تمهيد الله تعالى لها لخلا فته فيها، وتزويده بالوحي، وبالقدرة على التعرف على المشيئة الإلهية بالعقل. والحق أن سبيل خلاص الإنسان الوحيد، في منظور الإسلام، هو أداؤه لرسالته التي خل قه الله تعالى من أجلها."[59]

ويجد المدقق في المقابل أن سيد قطب عني بألوهية الله أي عبادة الله وحده، والخضوع لأوامره وتشريعاته والاطمئنان إلى حاكميته، وعدم الاعتراف بألوهية أحد من الناس ولا الخضوع لنظام فرد ولا جماعة من الناس.[60]

ولعله بهذا المفهوم يوافق كتب أصول الدين أو العقيدة عامة، والفاروقي خاصة في أن الألوهية هي اتخذا هذا الرب إلها، مع فرق جوهري؛ وهو أنه بهذا يؤكد رأيه السابق ولا يناقضه؛ إذ بين أن قضية الألوهية بمعني وجود الله وسرمديته وصفاته كانت معروفة لدي المشركين والناس عامة؛ لكن مهمة الأنبياء هي تصحيح حقيقة هذه الألوهية ونزع الغبار الذي تعلق عليها جراء سوء فهم الناس وممارساتهم وجراء بعد العهد. وبهذا يمكن القول بأن: كلامه في بيان حقيقة الألوهية هي مواصلة للمفهوم الواحد لكن بشرح ما وقع الخطأ في فهمه.

يبين في كتابه **مقومات التصور الإسلامي**، وهو يتحدث عن الحقيقة الأولى من حقائق مقومات التصور الإسلامي في مبحث **ألوهية وعبودية**:[61] أن الله هو صاحب الألوهية، وأن العبيد هم

---

[58] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 47.

[59] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 42.

[60] سيد قطب، **معالم في الطريق** (القاهرة: دار الشروق، ط6، 1979). ص74.

الذين تتمثل فيهم العبودية. يضاف إلى هذا أن الألوهية واحدة لا تتعدد، وهي ألوهية الله وحده سبحانه وتعالى، وأن العبودية تتمثل في كل ما سوي ذلك، وكل ما وراء ذلك فهو من خلق الله.

وفي معرض بيان سيد قطب لحقيقة الألوهية ومكانته في كتابه **خصائص التصور الإسلامي** يذكر أن التصور الإسلامي يقوم على أساس أن هناك **ألوهية وعبودية**.. ألوهية يتفرد بها الله سبحانه. وعبودية يشترك فيها كل من عداه وكل ما عداه.. وكما يتفرد الله – سبحانه– بالألوهية، كذلك "يتفرد" –تبعاً لهذا– بكل خصائص الألوهية. ويضيف أيضا بأنه كما يشترك كل حي وكل شيء– بعد ذلك – في العبودية، كذلك يتجرد كل حي وكل شيء من خصائص الألوهية.. فهناك إذن وجودان متميزان. وجود الله ووجود ما عداه من عبيد الله. والعلاقة بين الوجودين هي علاقة الخالق بالمخلوق، والإله بالعبيد.[62]

من هذا يتبين أن حديثه عن الألوهية تحت هذا العنصر يختلف عن حديثه عن الألوهية في إثبات وجود الله نوعا ما، وإن كان الكلام فيه هو استمرارية بيان هذه الحقيقة التي لم ينكرها المشركون إنما ضاعت حقيقتها عندهم.

يجد المتتبع أن ثمة شبه كبير بين سيد قطب والفاروقي في هذه المسألة، ولعل هذا يوحي إلى استفادة الفاروقي من قطب، وذلك أن الأخير هو من عرف بهذه اللهجة، علاوة عن أنه كتب أولا وتوفي أو استشهد أولا، ناهيك عن أن كتاب الفاروقي متأخر عن كتاب الفاروقي. ويمكن زيادة الطين بلة إذا ما تذكرنا أن الإنكليزية لغة لم يتقنها سيد قطب بينما الفاروقي متقن للعربية. أو يمكن أن يكون من باب توافق الأخطار، بحكم أن مثل هذه العملية العلمية هي الطريقة المثلى للقضاء على العلمانية، معضلة العصر الذي عاني منه كل من الفاروقي وقطب.[63]

---

[61] سيد قطب، **مقومات التصور الإسلامي**، ص83 – 188.

[62] سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي**، ص198.

[63] يمكن التعمق في هذه المسألة في بحث آخر مستقل، لان جذوره عميقة، وأوجه الشبه بينهما متقاربة جدا. وقد يراجع كتب المودودي في هذا الصدد أيضا. يمكن مراجعة البحث عن: **الدين والتدين في الخطاب الإسلامي المعاصر في مصر**، لصاحبه د. سيكو توري، تحت إشراف وإرشادات د. أنيس مالك طه. والتي قدمت إلى قسم أصول الدين ومقارنة الأديان بكلية معارف الوحي والتراث في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. وسيتم نشر أهم الخطابات التي درست في الرسالة قريبا بإذن الله. وانظر:

ثانيا: التوحيد: لباب فكر الفاروقي وقطب:

ومن أهم ما يقف عليه المتتبع في كتابات الفاروقي وقطب، هو اهتمامهما بجانب التوحيد، وليس مجرد اهتمام؛ بل إسباغ ثوب التوحيد على أبعاد الحياة من جهة، وتغليبها على تعاليم الإسلام من أخرى.

وفي معرض إيضاح حقيقة التوحيد نجد أن الفاروقي وسيد قطب ينطلقان من التوحيد كنظرة شاملة واسعة متكاملة للوجود كله؛ فيريان أن حقيقة التوحيد تكمن في رد هذا الوجود كله بنشأته ابتداء، وحركته بعد نشأته، وكل انبثاقة فيه، وكل تحور وكل تغير وكل تطور، والهيمنة عليه وتدبيره وتصريفه وتنسيقه، إلى إرادة الذات الإلهية السرمدية الأزلية الأبدية المطلقة.[64]

وفي تأليف الفاروقي عن هذا الموضوع وتكريسه كتابا خاصا به خير دليل على هذا، هذا من جهة. يضاف إلى ذلك أن عنصر الكتاب هو في فصله الأول والثاني، حيث ركز على مكانة التوحيد وجعله المحور في الكتاب في الفصل الأول، وأثبت فيه باقي قضايا العقيدة من حيث تمركزها وتمحوها حول التوحيد. وفي الفصل الثاني من الكتاب أكد نظريا أهمية التوحيد بعد التطبيق السابق في الفصل الأول. ومن ثم تأتي باقي جزئيات الكتاب مرتبطا بالتوحيد، لا من حيث الموضوع ولا المضمون، بل من حيث الرؤية والنظرة، ومن حيث القضاء على العلمانية. ولعل هذا المنهج أفضل منهج يتبع لا لإقصاء العلمانية، بل لقلعها من الجذور.

يضاف إلى هذا أن التوحيد عند الفاروقي كالمقاصد عند الشاطبي، إذ الفاروقي محوَر كتابه على التوحيد كما محوَر الشاطبي مقاصده "الموافقات"[65] على المقصد؛ لأن **التوحيد هو: جوهر** الخبرة الدينية، و**جوهر** الحضارة، **ومبدأ** التاريخ، **ومبدأ** المعرفة، و**مبدأ** الغيب، و**مبدأ** الأخلاق، و**مبدأ** النظام الاجتماعي، و**مبدأ** الأمة، و**مبدأ** الأسرة، و**مبدأ** النظام السياسي، **ومبدأ** النظام الاقتصادي، **ومبدأ** النظام العالمي، **ومبدأ** الجمال.[66]

يضاف إلى هذا عباراته: "التوحيد جوهر الإسلام،" "التوحيد جوهر الخبرة الدينية"، "التوحيد لباب الإسلام"، "أهمية التوحيد"،[67] ومن النصوص الدالة على أهمية التوحيد عنده ما يلي:

"ومن الجلي أنه لا قوام لأي أمر آخر في الإسلام إلا بالتوحيد. فبمجرد المساس بالتوحيد، ينهار صرح الدين ذاته بكامله، والتزام الإنسان بعبادة ربه، وامتثاله أوامره واجتناب نواهيه.."[68] ويقول أيضا: "ومن

---

[64] سيد قطب، المرجع نفسه، ص103؛ الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 35، 59، 120.

[65] يرجى مراجعة: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، **الموافقات**، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان (الرياض: دار ابن عفان، ط1، 1997).

[66] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. الكتاب.

[67] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. الكتاب.

المؤكد أنه في غيبة التوحيد لا تصير السنة النبوية محلا للشك فحسب، وتهتز صفتها الآمرة، بل تنهار مؤسسة النبوة من أساسها، وينسحب الشك في الآلهة المتعددين المزعومين على رسالاتهم."[69] ومن عباراته: "الاعتصام بمبدأ التوحيد هو حجر الأساس لكل ما يتعلق بالتقوي والتدين والفضيلة."[70]

فهذا الربط القوي بين التوحيد وبين أبعاد الحياة دلالة ليس بعدها دلالة في بيان أهمية التوحيد.[71] فالتوحيد عند الفاروقي هو مركزية مفهوم الله بالنسبة للمسلم، في كل مكان وفي كل فعل، وفي كل فكرة، وفي كل زمان.[72] والتوحيد هو العلاقة الوثقى بين الإسلام وكل مجالات الفكر والنشاط الإنسانيين.[73] والتوحيد هو رؤية عامة للحقيقة، وللواقع، وللعالم، وللمكان وللزمان، ولتاريخ الإنسانية ولمصيرها.[74] فالتوحيد بهذا هو الإقرار بأنه وحده لا شريك له، هو السبب الأول لكل ما في الوجود. وقدرة الله ليست بمنأى عما يجري في الكون، ولا تسبيبه غير مباشر، على نحو يحيله إلى إله فرغ من الخلق، وترك الكون يعمل بذاته دون تدخل منه. وكان الذهول عن ذلك هو الخطأ الذي وقع فيه الفلاسفة الذين زعموا انتقال علاقة السببية من الخالق إلى الخليقة، ونظروا إلى الكون على أنه صار شبيها بالساعة، لا تحتاج بعد صنعها إلى تدخل صانعها، لتعمل وتؤدي دورها.[75]

وفي المقابل يجد المدقق أن سيد قطب اهتم في كتاباته بالتوحيد من جانبين اثنين؛ باعتباره المقوم الأول من مقومات التصور الإسلامي، وباعتباره خاصية من خصائص التصور الإسلامي.[76]

يعتبر سيد قطب التوحيد مقوم وخاصية من مقومات وخصائص التصور الإسلامي باعتبار الاهتمام القرآني الكبير للتوحيد؛ فالمساحة التي تشملها حقيقة التوحيد في العقيدة الإسلامية، والجوانب التي تمتد إليها في هذا التصور، وفيما يقوم على هذا التصور من مشاعر وأخلاق وسلوك وتنظيم لجوانب الحياة الواقعية تتسع لتشمل جميع نواحي الحياة. فقد امتدت هذه الحقيقة إلى تصور المسلم للكون كله، وتصوره لحقيقة القوة الفاعلة فيه، وتصوره لحقيقة القوة الفاعلة على حياته هو بحذافيرها. كما امتدت إلى تنظيم

---

[68] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 56.

[69] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 57.

[70] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 57.

[71] محمد عياش الكبيسي، **المحكم في العقيدة** (الدوحة: أعلام للفكر والثقافة، الطبعة الأولى، 2003). ص 15 فما بعد.

[72] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 33.

[73] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 31.

[74] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 46.

[75] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 106.

[76] سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي**، ص197.

جوانب الحياة الإنسانية كلها: خافيها وظاهرها. صغيرها وكبيرها. حقيرها وجليلها. شعائرها وشرائعها. اعتقاديها وعمليها. فرديها وجماعيها. دنيويها وأخرويها.[77] وهذه الجوانب هي ما درسه كتاب التوحيد للفاروقي وجعل التوحيد مبدأً لها.

يضاف إلى هذا أن لبيان مكانة وأهمية التوحيد نجد أن سيد قطب يبين أن عقيدة التوحيد يفترض أن تسيطر وتؤثر في مقومات النظام الاجتماعي الإسلامي، توحيد الله المطلق بلا شبهة من شرك أو تعدد، وتوحيد إرادة الله في الخلق والحفظ والضبط والحساب، وتوحيد الوجود الحادث عن توجه الإرادة الواحدة، وتوحيد الحياة في مصدرها وطبيعتها ومقوماتها، وتوحيد البشرية في مصدرها وأصلها ونشأتها، وفي أجيالها وأهدافها ومصائرها، وتوحيد الدين على أيدي أمة الرسل – وهم أمة واحدة – وتوحيد الأمة المؤمنة وهي تشمل كل من آمنوا برسول من رسل الله قبل أن يُرسَل أخوه بعده من لدُن آدم إلى خاتم المرسلين، وتوحيد الطبيعة البشرية في اعتبارها وتوجيهها، وتوحيد العقيدة، والعمل والعبادة والسلوك، وتوحيد الدنيا والآخرة في التوجه إلى الله. ويضيف بأن عقيدة التوحيد هذه يفترض أن تسيطر سيطرة تامة على كل جوانب النظام الاجتماعي الإسلامي؛ وتحدد كل مقوماته وخصائصه الأخرى؛ وتفسر كثيراً من المشاعر والآداب والأخلاق والمعاملات، والحقوق والواجبات، والعلاقات والارتباطات في هذا النظام، وفي كل صورها وأشكالها.[78] ولا يخفى أن هذه المفردات هي عين كتاب التوحيد للفاروقي.

فمن هذه الوقفة والتي قبلها في بيان التوحيد وهذه الرؤية الشاملة والانطلاقة المتكاملة يمكن تفريع الكثير تحت عنصر التوحيد؛ من مثل توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، والكونية، والفعلية، والفاعلية، والحاكمية، والتشريعية، والعبودية، والأخلاقية، والسلوكية والمشاعرية. ويمكن إيجاد تعريفات لكل هذه الأمور وجعلها مصطلحات مستقلة مستنبطة من التوحيد الأم بهذا البيان وهذه الحقيقة؛ ولا ننسى أن كلا هذا أمر منهجي واجتهادي؛ ليس إلا، ولا داعي لتفريق وحدة المسلمين بهذا. وهي مختصر جهد الفاروقي في كتابه المعني. وهذه الأمور هي التي أفرد لها الفاروقي الدراسة لها فصلا فصلا، باسم مبدأ كذا ومبدأ كذا.

يجدر بالذكر أن (**مقتضيات التوحيد**): **أي ربط التوحيد بجميع نواحي الحياة** من أهم ما يميز عمل قطب، ومن أهم أوجه الشبه بينه وبين الفاروقي؛ ولعل عامل الزمن وعامل المذاهب السائدة في عصرهما جعلهما يهتمان أكثر من غيرهم من العلماء السابقين بربط التوحيد بجميع نواحي ومظاهر الحياة.

---

[77] سيد قطب، المرجع نفسه، ص198.

[78] سيد قطب، **نحو مجتمع إسلامي**، ص109.

بين سيد قطب الخطوة الأولى في عمل المسلم يبدأ بتوحيد الإله، ثم إشباع هذا التوحيد وإفاضته على كل النواحي، **توحيده خالقا، توحيده ربا، توحيده معبودا حقا، توحيده في شؤون الحياة وعدم التفريق بين جزئياته**. ومن ثم يكون للإنسان مهمة ووظيفة ومسؤولية، ومن ثم يمتاز عن باقي المخلوقات، ثم يكون للكون معني ومغزي.[79] علاوة على أن القرآن الكريم يربط بين عقيدة التوحيد وبين مقتضياتها في الضمير وفي الحياة ربطاً وثيقاً، ويرتب على وحدانية الألوهية والربوبية ووحدانية الفاعلية والسلطان في هذا الوجود، كل ما يكلفه المسلم، سواء ما يكلفه من شعور في الضمير، أو ما يكلفه من شعائر في العبادة، أو ما يكلفه من التزام في الشريعة. [80]

وقد يتبين من هذا –بجانب التشابه الكبير بين الرأيين– أن الفاروقي وسع نظرية سيد قطب في ربط التوحيد بأبعاد الحياة، وفي تطبيق الفاروقي الفعلي لنظرية ما أسماه سيد قطب مقتضيات التوحيد؛ ربط التوحيد بأبعاد الحياة كما مر مسبقا.

---

[79] سيد قطب، **السلام العالمي والإسلام**، ص17.

[80] سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي**، ص205 – 208.

المبحث الخامس: الحاكمية نتاج التوحيد وأهم خصائص الألوهية:

وهكذا يجد المتتبع أن من القول بأن الوجود وجودان، وأن التوحيد من أهم مميزات الوجود الأول، يكون من لوازم ذلك أن على الوجود الثاني رد كل تصرفاته في هذا الكون إلى الوجود الأول؛ وهذا عين "الحاكمية" فلعل إسهامات الفاروقي في هذا الصدد يكمن في شرحه القديم بلغة جديدة، وبلغة معاصرة، وبأسلوب يجدر بالإنسان المعاصر فهم معركة الإسلام مع الشرك، ولعل بهذا اضطر الفاروقي إلى تبني فكرة الحاكمية التي ظهر جليا كمصطلح في كتابات سيد قطب. وإن لم يستخدم الفاروقي هذا المصطلح على نفس المستوي وعلى نفس التركيز إلا أن الفكرة موجودة بوضوح جدا في كتاباته، ولعل السبب الذي أدى بسيد قطب إلى هذا هو عين العلة التي جعل الفاروقي يحوم حولها.

يدرك ذلك بوضوح في بيان الفاروقي أن الجديد الذي أتى به التصور الإسلامي ليس وجود إله، وإنما وحدانية هذا الإله وتفرده، وإحياء المقاومة للوثنية، ولكل صور المؤسسات التقليدية الحائدة عن التوحيد الخالص، في عصر سادت فيه، عقيدة التثليث والثنوية، وتدنت فيه عقيدة التوحيد، في الوعي الديني.[81]

ويقول الفاروقي أيضا: "لقد تتضمن القرآن تسعة وتسعين اسما أو أكثر معبرة عن ربوبية الله تعالى وحاكميته ورعايته لكل ما في الوجود." [82]

فلعل ما يسميه سيد قطب بالحاكمية هو ما يسميه الفاروقي التوحيد وجوهر الخبرة الدينية.[83]

ويقول أيضا: ":مقتضي الإقرار بأنه لا إله إلا الله، هو الإيمان به سبحانه وتعالى خالقا ومالكا وحكما للوجود كله بلا شريك. ويترتب على هذه الشهادة الإقرار بأن الإنسان خلق لغاية، بما أن خلق الله تعالى منزه عن العبث، وأن تلك الغاية هي تحقيق الإرادة الإلهية المتعلقة بهذا العالم الذي تتخذ منه الحياة البشرية مسرحا لفعلها الحر المسؤول"[84]

يجد المدقق بوضوح أن فكرة الحاكمية عند الفاروقي قريبة جدا منها عند سيد قطب، فإما أن يكون قد قرأ ذلك منه أو من المودودي، أو استنبطه بحكم العلمانية والوسط العلمي الذي يعيش فيه. إن الذي يقرأ للفاروقي عن الحاكمية كأنه يقرأ لسيد قطب.

---

[81] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 36، 53.

[82] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 69.

[83] ويفهم من هذا أن العقيدة واحدة وثابتة، أما ما يتبع من بعد فهو عرضة للتغيير، كما أن العقيدة قد تجدد بحسن تنزيلها لمعالجة قضايا العصر. يستحسن إلقاء الضوء على جديد محمد إقبال في هذا الشأن في كتابه المعروف:
Mohammad Iqbal, *The Reconstruction of religious thought in Islam* (Lahore: Iqbal Academy Pakistan; Institute of Islamic Culture, 1986).

[84] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 169.

يذكر الفاروقي مثلا أن الأمة لا يحكمها الحكام ولا المحكومين، فكلاهما خاضع لحكم الشريعة. والحاكم مجرد منفذ للشريعة. والمحكومون سواء كانوا في موقع الوكيل الفاعل، أو الصابر على فعل آخرين، هم أدوات لتنفيذها في لحظة زمنية ومكانية محددة. وعلى إثر ذلك بين أنه ليست الأمة جمعية تشريعية، فهي لا تصنع القانون. والقانون ليس تعبيرا عن الإرادة الشعبية العامة. فالقانون إلهي المصدر، وهو بهذه الصفة يعلو ولا يعلى عليه. وحينما يقول المسلم " إن الحكم إلا لله " أو أن" الله هو رب العالمين ومالك ما في السموات والأرض ولا معقب على أمره " بوصف ذلك هو لباب تجربته الدينية.[85]

وفي المقابل بعد بيان سيد قطب إثبات وجود الله وعدم الريب في ذلك، وإثبات وحدانيته وكل صفة كمال له ونفي كل صفة نقص عنه، وبعد بيان استحقاق الله وحده العبادة وإثبات التوحيد له في ذلك باسم الألوهية وبعد بيان أن كل ما عدا الله ليس له إلا العبودية وليس له أي مشاركة في عنصر الألوهية، وأن الإسلام لم يأت إلا لبيان هذا ومحاربة العكس. يذهب سيد قطب في تأكيد هذه الأمور كلها بما يظهر في كتاباته باسم "الحاكمية". لذا يرى الباحث أن شأن مصطلح الحاكمية ليس إلا مثل المصطلحات الأخر، التي تنبثق إلى الوجود بحكم تداعيات الظروف وحاجة الواقع إليه.

ولا يخفي على الباحثين ما أصدر هذا المصطلح من ضجة في الفهم والتطبيق والدفاع والرد والنقد. حتى يكاد يرتبط اسم سيد قطب بالحاكمية وما يترتب عليها، ولا يكاد ينفك كل من كتب عن سيد قطب دون المرور والعبور على هذه القضية.[86]

فمصطلح الحاكمية لا يعني أكثر من إثبات وجود الله وإثبات ألوهيته، ونفي عكس ذلك. لكن عبر عنه بهذا محاولة منه لمعالجة مرض العصر، وهو العلمانية. فالعلمانية كما يرى الباحث هو داء العصر؛ اقتضي الإيمان به تفريق الناس وشؤون الحياة إلى روح ومادة، دين ودولة. فيعني بالحاكمية أنك متى ما آمنت بالله ربا وبمحمد رسولا، فإنك مطالب بالسماع والخضوع لكل ما ثبت عن الله وعن رسوله فالله هو الحاكم وهو المشرع. ولا حكم للشعب أو الحزب. وذلك أن حدود العقيدة تتسع وتترامى حتى تتناول كل جانب من جوانب الحياة..**وقضية الحاكمية** بكل فروعها في الإسلام هي قضية عقيدة.كما أن قضية الأخلاق بجملتها هي قضية عقيدة.فمن العقيدة ينبثق منهج الحياة الذي يشتمل الأخلاق والقيم كما يشتمل الأوضاع والشرائع سواء بسواء.[87]

---

[85] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 170.

[86] يمكن مراجعة البحث عن: **الدين والتدين في الخطاب الإسلامي المعاصر في مصر**، لصاحبه د. سيكو توري. يضاف على ذلك؛ عبده عمر شوري، **سيد قطب وأفكاره السياسية والعقدية** (كوالالمبور: دار التجديد، ط1، 2005). ص68 فما بعد. حيث قارن بين المصطلح عند المودودي وسيد قطب، وبينه مفهومه عند سيد قطب، وعلاقته بالتوحيد.

[87] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج6. ص205.

يضاف إلى هذا أن سيد قطب يري أن **قضية الحاكمية أولى خصائص الألوهية** وأنه لا معني للألوهية إذا لم يحكم هذا الإله، يذكر في هذا أن أولى خصائص الألوهية: حق الحاكمية المطلقة، الذي ينشأ عنه حق التشريع للعباد، وحق وضع المناهج لحياتهم؛ وحق وضع القيم التي تقوم عليها هذه الحياة، فشهادة "أن لا إله إلا الله " لا تقوم ولا تتحقق إلا بالاعتراف بأن لله وحده حق وضع المنهج الذي تجري عليه الحياة البشرية؛ وإلا بمحاولة تحقيق ذلك المنهج في حياة البشر، دون سواه. وهنا يمتاز هذا الدين عن غيره ويتفرد.[88]

ولعل بهذا يقر كل مسلم بالحاكمية؛ من حيث أن الله الخالق المعبود هو الذي يملك حق التقنين والتشريع وحده، دون غيره. وهذا أبسط معاني الحاكمية. أما ما يترتب على هذا الكلام من اتباع حزب أو بيعة، أو تكفير أولى الأمر فشتان بين القضيتين، الأول عقدي بحت، ويقر به كل مسلم لا محالة، الثاني فقهي سياسي لسنا بصدده، وقد بين فيه العلماء أيما بيان.

[88] سيد قطب، **هذا الدين**، ص 17 فما بعد.

الخاتمة ونتائج البحث:

يجد المتتبع أن الفاروقي يحمل خلفية أكاديمية فلسفية، والكتاب يوحي تشبعه في حقل عمل مقارنة الأديان. وذلك في مقارناته الكثيرة بين الإسلام والنصرانية من جهة، وبينه وبين اليهودية من أخرى؛ علاوة على نقله الكثير من نصوص التوراة والإنجيل.[89] ولعل هذا المنهج هو ما يعبر عنه بمنهج كلامي.

وهو أمر ندد به سيد قطب كثيرا. فهو كثيرا ما ينادي إلى "كلمة في المنهج" و"جيل قرآني" و"منهج الله" وما إلى ذلك إشارة إلى أهمية اتبع المنهج القرآن والطريقة التي سلكه القرآن في الدعوة.

حقيقة أخرى مهمة أن تضاف إلى هذا، وهي أن عمل الفاروقي يمكن أن يعد جزءا من الدعوة إن صح هذا الكلام من الباحث، وبخاصة لو تذكرنا معا أنه كان مقيما في الغرب، إضافة إلى أن علم مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي أساسه الدعوة؛ الدحض والإثبات. وهو أمر يقر به الفاروقي ويراه؛[90] خلافا لمن يرى أن مهمة علم مقارنة الأديان هو لمجرد الوصف العلمي، ولحصول العلم، ولا يشترط الحكم أو التقييم، بل لا يفضل نهائيا؛ لأنه سيقودنا إلى الجدل الديني الذي لم ينشأ علم الأديان له.[91] ومن أهم نتائج البحث أن العقيدة الإسلامية عقيدة واحدة، لا تتعدد ولا تتغير، وليست متأثرة بالبعد الزماني ولا المكاني. وهي التي تحدد نظرة الإنسان إلى الكون وتدفعه إلى العمل وإلى السلوك القويم. ويكمن دور العالم في حسن تنزيل العقيدة على الواقع المعاش. ومن هنا اهتم به كل من سيد قطب مركزا على الحركة الإسلامية وإيجاد مجتمع إسلامي، وأن ليس ثمة حاكمية إلا لله، وعلى غراره عني الفاروقي بالمسألة وربط العقيدة أو نظرية سيد قطب على الواقع، وربطها بأبعاد الحياة؛ وكلاهما سعيا إلى إخراج الأمة من أزمتها الراهنة. يضاف إلى هذا أن التعلم كان سبيل الفاروقي، ومواجهة المجتمع والواقع كان سبيل سيد قطب؛ فغلب الحركية على الأخير والأسلمة على الآخر.

---

[89] الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**. ص 60 - 66.

[90] See: Ismai'il Raji al-Faruqi, *Christian Ethics* (Montreal: McGill university press, 1967). p, 15.

[91] See: Daniel L. Pals, *Eight Theories of Religion* (Oxford: Oxford university press, 2006). p, 15.

المصادر العربية

ابن خلدون: عبد الرحمن. (1992). **مقدمة ابن خلدون** (الطبعة الأولى). بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، **الإبانة عن أصول الديانة** (القاهرة: دار الأنصار، الطبعة الأولى، 1397 هـ).

أبو بلال عبد القادر منير المذدغي العزابي. (2002). **الكشف الجلي عن ظلمات ربيع المدخلي** (الطبعة الأولى). الرباط: طوب بريس.

أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، **الفقه الأكبر**، شرح محمد بن عبد الرحمن الخميس (الإمارات:مكتبة الفرقان، الطبعة الأولى، 1999).

أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم الظاهري، **النبذة الكافية في أحكام أصول الدين** (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1405 هـ).

أحمد بن علي بن ثابت الرفاعي الحسيني، **البرهان المؤيد** (بيروت: دار النفيس، الطبعة الأولى، 1408هـ).

إسماعيل راجي الفاروقي، **التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة**، ترجمة السيد عمر.

أنيس مالك طه، (2005). **التعددية الدينية: رؤية إسلامية**. (الطبعة الأولى). كوالالامبور، مركز البحوث في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

ربيع المدخلي. (د.ت). **أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره** (الطبعة الأولى). المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الإسلامية.

سيد قطب ، (1988). **مقومات التصور الإسلامي**. (الطبعة الثالثة). القاهرة: دار الشروق.

سيد قطب، (1988). **خصائص التصور الإسلامي**. (الطبعة العاشرة). القاهرة: دار الشروق.

سيكو توري، **الدين والتدين في الخطاب الإسلامي المعاصر في مصر**، رسالة دكتوراه تحت إشراف وإرشادات د. أنيس مالك طه. والتي قدمت إلى قسم أصول الدين ومقارنة الأديان بكلية معارف الوحي والتراث في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي. (1997). **الموافقات**، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان (الطبعة الأولى). الرياض:دار ابن عفان.

الشرقاوي، محمد عبد الله.(2002). **بحوث في مقارنة الأديان** (الطبعة الثانية). القاهرة: دار الفكر العربي.

العلواني، طه جابر. (1994) **ابن تيمية وإسلامية المعرفة**، (الطبعة الأولى). الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي.

ـــــ. (1996). **إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم**. هيرندون: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

محمد عياش الكبيسي، (2003). **المحكم في العقيدة** (الطبعة الأولى) الدوحة: أعلام للفكر والثقافة.

القرضاوي، يوسف. (1979). **الإيمان والحياة**. (الطبعة الرابعة). بيروت: مؤسسة الرسالة.

قطب، سيد، (1979). **معالم في الطريق** (الطبعة السادسة). القاهرة: دار الشروق.

محمد عبد الله دراز، **الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان** (الكويت: دار القلم، 191952).

يحيى بن أبي الخير العمراني، **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار**، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، (الرياض: أضواء السلف، الطبعة الأولى، 1999).

المصادر الإنكليزية

Al- Faruqi, Ismail R. (n.d). The Essence of Religious Experience In Islam. *Journal of Numen*, vol xx, fasc.

___, *Tawhid: its implication for though and life* (Herndon: International Institute Of Islamic Thought, 1982).

__, (1987). *Islamization of knowledge*. Herndon: International Institute Of Islamic Thought.

___, *Christian Ethics* (Montreal: McGill university press, 1967).

Al-Attas, Syed Muhammad Naquib al-Attas, (1993). *Islam and Secularism*. Kuala Lumpur: Kuala Lumpur: International Institute of Islamic Thought and Civilization (ISTAC).

___. (1995). *Prolegomena to the Metaphysics of Islam*. Kuala Lumpur: International Institute of Islamic Thought And Civilization.

Daniel L. Pals, *Eight Theories of Religion* (Oxford: Oxford university press, 2006).

Iqbal, Mohammad. (1986). *The Reconstruction of religious thought in Islam* Lahore: Iqbal Academy Pakistan; Institute of Islamic Culture.

Muhammad Kamal Hassan, "*The integration of human sciences and revealed knowledge in the KIRKHS"* in Syed Arabi Idid (ed) (2009), IIUM at 25: *the path travelled & the way forward*, Kuala Lumpur: IIUM press, 1982). Pp. 111 – 124.

Smith, Wilfred Cantwell. *The meaning and End of Religion*, (1963). New York, Macmillan.

Wilfred Cantwell Smith, *The Meaning and End of Religion* (New York, Macmillan, 1963).

المصادر الإلكترونية

إسلامية المعرفة: خلفية تاريخية وإشكالات مطروحة

http://islamonline.net/studies/3697 / 02-04-2014

علم مقارنة الأديان: فضاء معرفي لفهم الآخر للباحث؛ على هذا الرابط:

http://islamonline.net/studies/3174 04-03-2014